ملخص باللغة العربية

تعزيز التبادل الحضاري والتعلم المتبادل والتكاتف من أجل بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية

يانغ رونغ هاو
المستشار الثقافي بالسفارة الصينية في مصر
ومدير المركز الثقافي الصيني بالقاهرة

مقدمة:

في الأيام القليلة الماضية، صدر رسمياً المجلد الثالث من الترجمة العربية لكتاب "شي جين بينغ: حول الحكم والإدارة"، وهو من المؤلفات التي قدمها الرئيس الصيني شي جين بينغ، حيث تعتبر سلسلة كتب "شي جين بينغ: حول الحكم والإدارة" بالاتجاه العام لتقدم الحضارة الإنسانية، حيث ويوضح بعمق مفهوم الحضارة "المتنوعة، والعادلة، والشاملة"، كما يدافع بصدق عن مبدأ "التناغم مع احترام الاختلافات" للتبادل الحضاري والتعلم المتبادل، ويعلن رسمياً عن المفاهيم الصينية: الاحترام المتبادل، والتعايش المتناغم، ويفتح طريقًا جديداً لتقدم وتنمية السلام العالمي، إلى جانب أنه يشكل إجماعاً جديداً على رسم صورة حضارية جميلة لبناء مصير مشترك للبشرية.

أولاً، الحضارة الصينية حضارة انتقائية لها تاريخ طويل، وقد تشكلت من خلال التبادلات المستمرة مع الحضارات الأخرى

أشار شي جين بينغ إلى أن "الحضارة الصينية هي حضارة نشأت على الأراضي الصينية، وقد تشكلت من خلال التبادل الحضاري المستمر مع الحضارات الأخرى"، فالتاريخ هو أفضل مرجع؛ فقد سجَّل آثار الخطوات التي اتبعتها جميع الدول، كما يقدم بتنويرٍعميقٍ لمستقبل كل دولة؛ حيث النظر في الأحداث الماضية لها ودراسة مستقبلها، ويمكننا من خلال ملاحظة الحضارة الصينية عبر عدسة التاريخ الطويلة، أن نرى صورة جميلة للازدهار والتنوع، فالحضارة الصينية يتم تناقلها من جيل إلى جيل

وتتطور باستمرار، إذ تحتوي على جينات ورموز التنمية المتناغمة والتعايش السلمي بين الحضارات. وفي تاريخ تطور ثقافة الفكر الصيني، وبغض النظر عن مدى تعدد واختلاف الطوائف والفِرق، فيمكن دمجها وتكاملها من خلال جهود أجيال متتابعة من المفكرين، وفي النهاية سيتم تشكيل نظام ثقافي أيديولوجي متنوع وموحد حيث يتواجد الاختلاف في التماثل، والتماثل في الاختلاف.

ثانياً، الوجود الموضوعي لتنوع الحضارات العالمية

في عام ٢٠١٦ أعلن وقال الرئيس شي جين بينغ في خطاب ألقاه بالمقر الرئيسي لجامعة الدول العربية إن: الحضارات متنوعة، تماماً مثل تعدد الأنواع في الطبيعة، حيث تشكل معًا أصل الحياة على كوكبنا، إن الشرق الأوسط هو نقطة التقاء الحضارات البشرية القديمة، فهو يمتلك حضارات مزدهرة وتنوعًا ثقافيًا، وستواصل الصين دعمها الثابت للشرق الأوسط والدول العربية في الحفاظ على التقاليد الثقافية الوطنية، وستناهض كل تمييز وتحيز ضد جنسيات و ديانات بعينها.

وخلال جريان نهر التاريخ البشري الطويل الشاسع، كان للحضارات المختلفة التي أنشأتها كل أمة مزاياها الخاصة ومظاهرها المختلفة، ولذلك تحديداً أزهرت حدائق الحضارات الإنسانية وامتلأت بالحيوية، واليوم وبينما يوجد في العالم أكثر من ٢٠٠ دولة ومنطقة، وأكثر من ٢٥٠٠ مجموعة عرقية، وأكثر من ٦٠٠٠ لغة، فهي تشكل معًا خريطة رائعة ومزدهرة للحضارة الإنسانية.

لكن كيف نشأت هذه الخريطة الحضارية المزدهرة؟ أشار الرئيس شي جين بينغ إلى أن: "حضارة الأمة أو الدولة هي الذاكرة الجماعية الخاصة بها". تنشأ كل حضارة في بيئة طبيعية وخلفية تاريخية وتقاليد قومية محددة، إذ تجسد أسلوب حياة إنتاجية فريداً من نوعه، وتمثل واحة وتربة ثقافية خصبة، تعتبر جميعها مكوِّنًا مهمًّا للحضارة البشرية. فعلى سبيل المثال: نشأت على ضفاف كل من حوضي النهر الأصفر ونهر اليانغتسي، وحوض نهري دجلة والفرات في آسيا، وحوض نهر النيل في إفريقيا

العديد من الحضارات القديمة، فهي تكمل بعضها البعض، وتجعل العالم البشري يقدم آلاف المبادرات.

ثالثاً، ليس هناك حضارة أعلى أو أدنى شأناً، وينبغي وجود الاحترام المتبادل

أشار شي جين بينغ إلى أن: "الحضارات تقع جميعها على قدم المساواة، ولهذا تحديداً توجد فرضية التبادل الحضاري والتعلم المتبادل". وأضاف: "إن الحضارة الصينية والحضارات العربية لكل منها أنظمتها وسماتها الخاصة، لكنها تحتوي جميعها على الأفكار والمساعي المشتركة التي تراكمت من خلال تقدم التطور البشري، وتعلق جميعها أهمية على المفاهيم القيمية مثل: السلام والولاء والعفو والتسامح وضبط النفس، وينبغي أن يكون لدينا حوار حضارات، وأن ندعو إلى التبادل الشامل، وأن نستكشف معًا نقاط الصدى لطرق الحياة الإيجابية الموجودة في التقاليد الثقافية القومية والتي تتماشى مع العصر الحالي."

تُظهر كل حضارة في المجتمع البشري جمال الفكر والحياة والابتكار، ولكل حضارة معنى فريد خاص بها، وتعد هذه كلها تراكمات لحكمة البشر وعملهم على مدار التاريخ الطويل، وهو الكنز الروحي للبشر، حيث لعب دوراً لا غنى عنه في تطور الحضارة. والإصرار على أن هناك حضارة أسمى من حضارة أخرى لا يتماشى مع الحقائق، ومن المستحيل أن يعترف بذلك جميع شعوب العالم. يُقسِّم بعض علماء الغرب الحضارات بشكل مصطنع إلى ثلاثة وستة وتسعة درجات، ويدعون إلى "نظرية صراع الحضارات"، إن القيام بأفعال مثل تعظيم الذات فحسب، والتمييز الحضاري، سيتسبب فقط في خلق صراعات وتناقضات، ويعيق تقدم المجتمع البشري، مما سيؤدي في النهاية إلى إيذاء النفس، ويقود إلى العزلة والانغلاق على الذات.

وأشار شي جين بينغ إلى أن: الكبرياء والتعصب هما أكبر العقبات أمام التبادل الحضاري والتعلم المتبادل، فإذا كنت تتعامل مع حضارة بنظرة فوقية، فإنك لن تفشل في معرفة سر هذه الحضارة ودراسة ثمارها الممتازة فحسب، بل سيكون ذلك

مرفوضًا. ولطالما ألهمنا التاريخ والواقع مرارًا وتكرارًا أن أي حضارة يمكن أن تستمر في التطور والتقدم فقط بالحرص على التخلي عن الشعور المتعالي بالنظرة الفوقية، وإذابة الجليد الذي يفصل بين الحضارات، والتمسك بموقف المساواة والتواضع والانفتاح في التعامل مع الحضارات المختلفة، والتعلم الإيجابي من الإنجازات الممتازة للحضارات الأخرى على أساس الاحترام المتبادل.

رابعاً، ينبغي أن يتجاوز التبادل الحضاري صراع الحضارات

غالبًا ما تكون الخلافات الدينية والعرقية والصراعات الثقافية على مدار التاريخ هي الأسباب الجذرية لاندلاع الحروب واستمرارها، ومنذ تسعينيات القرن الماضي، اشتدت الصراعات وتكررت الأنشطة الإرهابية في العالم، بل طرح بعض الأشخاص في الغرب ما يسمى بـ "نظرية صراع الحضارات"، إذ يعتقدون أن صراع الحضارات سيسيطر على السياسات العالمية، فهل "صراع الحضارات" أمر حتمي؟ وماذا علينا أن نفعل؟ ومن ثمّ، فقد قدّم الرئيس شي جين بينغ هذه الإجابة: "إن الحضارة ينبغي أن تكون شاملة، وبفضل هذه الشمولية يكون للحضارات الإنسانية القدرة على التبادل والتعلم، وعلينا أن نمتلك سعة صدر أوسع من السماء". وكان من بين المفاهيم والمقترحات التي شدد عليها مرارًا وتكرارًا: "التناغم مع احترام الاختلافات"، و"البحث عن أرضية مشتركة"، و"الانفتاح والشمولية"، و"التبادل الحضاري والتعلم المتبادل"، ومن المبادئ الأساسية أيضًا أن تُطوِّر الصين تعاونًا وتبادلًا ثقافيًا مع الخارج.

وفي هذا الصدد، أشار الرئيس شي جين بينغ بوضوح إلى أنه: "لا ينبغي أن يقوم التبادل الحضاري والتعلم المتبادل على تعظيم حضارة بعينها والتحقير من حضارة أخرى". فلا يمكن أن تتحول جميع الزهور إلى نوع واحد من زهرة بنفسج، كما لا يمكننا إجبار جميع الدول التي تتميز بثقافة وتاريخ وظروف مختلفة على أن تصير حضارة واحدة، وأن تسير في طريق واحد، وتستخدم نموذجًا لنظام واحد. فلا ينصح بتدمير تنوع الحضارات بالقوة وإقامة حضارة واحدة، كما لن ينجح ذلك؛ إذ لن يأتي سوى بنتائج عكسية، وسيجلب الكوارث إلى العالم.

خامساً، تضافر الجهود من أجل بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية

لطالما كانت الحياة الجميلة والسعيدة هي حُلم البشر منذ القِدم. وقد حقق البشر إنجازات رائعة خلال آلاف السنين من تطور الحضارة، إلا أن الحروب والصراعات لم تكن ببعيد، وقد جعلت العالم يمر بصراعات لا حصر لها، ودفعت ثمنًا باهظًا. لقد أثبت التاريخ مرارًا وتكرارًا أنه وبدون التبادل الحضاري سينفصل البشر عن بعضهم، وأن التعايش السلمي صعبٌ بدون الاحترام المتبادل بين البشر، ولا يمكن للبشرية المضي قدمًا بدون السلام العالمي.

فما هو شكل العالم الذي نعيش فيه اليوم؟ أشار شي جين بينغ إلى أن: "العالم الحالي الذي يعيش فيه البشر يتكون من ثقافات وأجناس وأديان وألوان وأنظمة اجتماعية مختلفة، لقد شكّل الناس في جميع البلدان مجتمع مصير مشترك يحتوي على مفهوم التكامل بين الناس وبعضها". يمر العالم اليوم بتغييرات كبيرة لم نشهدها منذ قرنٍ من الزمان. إذ إن تعدد الأقطاب في العالم والعولمة الاقتصادية يشهدا مزيداً من التطور، كما تستمر المعلوماتية الاجتماعية والتنوع الثقافي في التقدم، ووصلت الحضارة الإنسانية إلى ذروتها مرة أخرى في التاريخ، إذ لم تكن مصائر شعوب العالم مرتبطة بشكل وثيق كما هي اليوم.

وعن كيفية حل المشاكل التي تواجه العالم اليوم، فقد أشار الرئيس شي جين بينغ إلى "ضرورتي" التبادل الحضاري والتعلم المتبادل، فالضرورة الأولى تحتم علينا "تعزيز الاحترام المتبادل والتعايش المتناغم بين الحضارات المختلفة، وجعل التبادل الحضاري والتعلم المتبادل جسراً لتعزيز الصداقة بين جميع شعوب العالم، وقوة دافعة تعزز تقدم المجتمع البشري، ورِباط للحفاظ على السلام العالمي. أما الضرورة الثانية فتحتم علينا البحث عن الحكمة واستمداد القوة من الحضارات المختلفة، وتوفير الدعم والاسترخاء الروحي للناس، إلى جانب مضافرة الجهود لحل التحديات التي تواجه البشرية.

وأخيراً، فيجب أن تلعب مصر والصين دوراً رائداً ونموذجياً في حوار حضارات العالم، ففي ظل التخطيط الاستراتيجي والقيادة الشخصية للرئيس عبد الفتاح السيسي

والرئيس شي جين بينغ، ففي السنوات القليلة الماضية، تطورت الشراكة الاستراتيجية الشاملة بين الصين ومصر بشكل سريع، وتعززت الثقة السياسية المتبادلة بين الجانبين، وقد أسفر التعاون العملي عن نتائج مثمرة، وتم تسليط الضوء على الوحدة ومكافحة الوباء، كما أصبحت الشراكة الاستراتيجية الشاملة بين الصين ومصر نموذجا للتضامن والتعاون والمنفعة المتبادلة بين الصين والدول العربية والإفريقية والنامية.

حيث تتمتع مصر بحضارة عريقة ومُزدهرة، وهي من أهم الحضارات القديمة في العالم، كما أن لها نقاط حضارية طبيعية مشتركة مع الأمة الصينية، وقد أقامت الدولتان تبادلات ودية على طريق الحرير، وللصداقة بينهما تاريخ طويل يمتد إلى العصور القديمة. وفي عام ١٩٥٦، قبل إقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والصين، ترأس بُرهان شهيدي أول وفد ثقافي وفني صيني يزور مصر، ووقع البلدان على "اتفاقية تعاون ثقافي بين جمهورية الصين الشعبية وجمهورية مصر العربية"، مما فتح حقبة جديدة من التبادل والتعاون الثقافي الصيني المصري. ولطالما عزز البلدان، بعد إقامة العلاقات الدبلوماسية، التعاون الثنائي من خلال اتخاذ التبادلات الثقافية والتعلم المتبادل كحلقة وصل. وقد تعززت الصداقة التقليدية بين البلدين خلال الـ ٦٦ عاما الماضية، وتقاربت التبادلات الثقافية بشكل متزايد. وفي أكتوبر عام ٢٠٠٢، افتتح رسميا المركز الثقافي الصيني بالقاهرة، وهو أول مركز ثقافي افتتحته الصين في الخارج على نطاق واسع في القرن الجديد، وقد أرسى أساسًا متينًا للتعزيز الشامل للتبادلات الثقافية والتعاون بين البلدين، وتوطيد وتعميق الصداقة بين الشعبين وتنمية العلاقات الثنائية. ومنذ ذلك الحين، تم تسليط الضوء على التبادل والتعاون بين الصين ومصر في مجالات الثقافة والسياحة والآثار الثقافية والشباب والرياضة والإذاعة والتلفزيون، وعلى وجه الخصوص، فقد كان "العام الثقافي المصري الصيني" الذي عقد في عام ٢٠١٦، له أهمية عابرة للعصور في تنمية العلاقات الثقافية بين البلدين. ففي ذلك العام، حضر كل من الرئيس السيسي والرئيس شي جين بينغ معًا حفل افتتاح "العام الثقافي المصري الصيني"، كما أرسلا برقية تهنئة في الحفل

الختامي. ولقد عقدت الصين ومصر أنشطة تبادل في ٢٥ مقاطعة ومدينة في البلدين تغطي الثقافة والفن والكتب والإذاعة والسينما والتلفزيون والحوار الأيديولوجي وتعليم الشباب وغيرها من المجالات، مما زاد من تعميق العلاقات الثقافية بين البلدين.

ومنذ اندلاع أزمة تفشي الوباء، دائماً ما كانت حكومتي كل من الدولتين تتبادلان الدعم والتعاون، ووقف شعبي كلا البلدين معًا على قلب رجل واحد، يراقبان بعضهما عن كثبٍ ويقدمان لبعضهما يد المساعدة. وفي مساء ١ مارس ٢٠٢٠، وتحت اشراف مباشر من الرئيس السيسي شخصياً، تم إضاءة مواقع التراث العالمي الثلاثة الرئيسية في مصر: قلعة صلاح الدين في القاهرة، ومعبد الكرنك في الأقصر، ومعبد فيلة في أسوان بعلم الصين الأحمر ذي النجوم الخمس في الوقت نفسه لدعم الصين في مكافحتها الوباء.

وقد أكدت هذه اللحظات الصداقة الحقيقية بين مصر والصين والتي تقوم على الوقوف معًا في السراء والضراء. وفي عام ٢٠١٩، أعرب الرئيس شي جين بينغ خلال لقائه بالرئيس السيسي عن أن: "الصين تولي اهتماماً كبيراً لتنمية العلاقات مع مصر... و تدعم الصين مصر دائما في استكشاف مسار التنمية الذي يناسب ظروفها الوطنية... كما يتعين على الجانبين مواصلة تكثيف التبادلات الشعبية والثقافية، صرح الرئيس السيسي: "إن مصر على أهبة الاستعداد للتعلم من تجربة التنمية الصينية الناجحة، والعمل عن كثب على مواءمة خطط التنمية الخاصة بها مع مبادرة "الحزام والطريق" العظيمة، وتعميق التعاون في مجموعة واسعة من المجالات وعلاقات التعاون الودية بين الصين وإفريقيا.

حيث شدد الرئيس السيسي مراراً وتكراراً على أهمية الحوار الحضاري والديني، وأشار في يناير ٢٠٢٢ إلى أن مصر نقطة انطلاق ومهد الحضارة الإنسانية، وتتميز بالانفتاح والشمولية والتنوع والتعدد، كما تمتلك قيم الحب والتسامح.

وقال الرئيس عبد الفتاح السيسى، إن الله وهب مصر عبقرية المكان وجعل على أرضها نبتة الحضارة الأولى وتشكلت شخصيتها في التنوع والتعدد وأصبحت هي نقطة إنطلاق جامعة للحضارة وإعلاء قيم المحبة والتسامح، وتابع: "اجتمعنا من أجل

الإنسانية ومستقبلها.. مصر الجديدة هي دولة مدنية حديثة تسعى للبناء والتنمية وتحقيق العدالة والكرامة الإنسانية.

كما صرحت وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبد الدايم عدة مرات مشيرة إلى أن القوة الناعمة الثقافية ستلعب دوراً مهماً كلغة عالمية موحدة وتواصل التبادلات بين الدول، و تلعب الدبلوماسية الثقافية دوراً فعالاً في الحوار والتبادل الثقافي بين الحضارات المختلفة، في الوقت نفسه، فتعد الدبلوماسية الثقافية أيضًا وسيلة مهمة لنشر الحضارة والفن المصري، وتعزيز تبادل القيم الثقافية المختلفة وشكل التعبير الإبداعي بين بلدان وشعوب العالم.

وباعتبار القاهرة ممثلاً للتنوع الثقافي في العالم، فإن الحكومة تولي أهمية كبيرة لحوار الحضارات الدولي، كما يرتفع بشكل عام وعي الناس بحماية التراث الثقافي. ومع التطور المستمر للاقتصاد الاجتماعي في مصر، وفي ظل الجهود الحثيثة للحكومة والشعب، أظهرت للعالم العديد من المعجزات الحضارية والولائم الثقافية، ويُعتقد أن القاهرة، باعتبارها عاصمة الثقافة الإسلامية في العالم في عام ٢٠٢٢، ستشع المزيد من التألق الحضاري.

وبشكل عام، فبغض النظر عن كيفية تغير الوضع الدولي، لا يزال السلام والتنمية هما موضوعي العصر اليوم. وباعتبار الصين أكبر دولة نامية في العالم، ستعمل دائماً على أن تبني السلام في العالم، وتساهم في التنمية العالمية، وتحمي النظام الدولي، وستواصل رفع راية السلام والتنمية والتعاون والربح المشترك، والتعايش في وئام مع مختلف شعوب العالم، وتعزيز بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية متكامل.